خصائص الإسلام

الإسلام دين النظافة

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

أخي القاري الكريم – وفقك الله – اعلم أن الإسلام دين الطهارة والنظافة، جاء ليعلم الناس كيف أنهم يتطهرون ويتنظفون، وكيف أنهم يعيشون نظفاء طاهرين، ولذلك أنه يطلب من أتباعه دائما أن يعيشوا نظفاء طاهرين، ولذا فينبغي لهم أن يأكلوا ويشربوا في الأواني النظيفة، ويلبسوا الملابس النظيفة، ويسكنوا في المساكن النظيفة، ويستنجوا بعد الانصراف من البول والبراز بالماء، ويقصوا الشوارب، ويزيلوا الأظفار إذا طالت، ويحلقوا العانة، وينتفوا الإبط، ويستاكوا عند الصلاة ويتطهروا، ويترجلوا الشعور الثائرة الشعثة، ويتطهروا عند الجنابة، ويطهروا الإناء الذي ولغ فيه الكلب بالماء والتراب سبع مرات، وينظفوا البيوت وأفناءها وساحاتها، وينظفوا الشوارع والطرق والأزقة والممرات والمنتزهات والمحطات من القمامات والزبالات، ويضعوها في المكان المخصص له. ولا ينجسوا الماء بالبول فيه أو التغوط، أو إلقاء القمامات والنجاسات والجيف فيه، ولا ينجسوا الدور وأفنيتها، ويحافظوا على نظافة الماء وطهارته دائماً، ويستعملوا الماء النقي الطاهر تطهراً وشرباً، ويجتنبوا استعمال الماء الذي تغير أحد أوصافه الثلاثة اللون والريح والطعم غاية الاجتناب، ويتقوا البول والبراز في الطريق أو الظل والمورد، وفي المكان الذي يجلس فيه الناس يستريحون، أو يتحدثون، ولا يبولوا ولا يتبرزوا بقرب البرك، أو النهر الذي يصل إليه البول، ويتزينوا ويتجملوا عند الروحة إلى مساجد الله، ويخمروا الإناء، ويوكوا السقاء قبل النوم، ويأكلوا من الطيبات، ويشربوا من الماء الصافي، ويجتنبوا أكل المطاعم البائتة المنتنة، ويتعطروا بأحسن الأطياب. كما يطلب الإسلام أن تتطهر الحائض والمستحاضة والنفساء بالماء تطهراً كاملاً، ويتنظفن تنظفاً بالغاً، وأن يتطهر الجنب سواءً كان

بالجماع أو بالاحتلام بالماء تطهراً بالغاً، ولا يقذروا الطرق والشوارع والأزقة والممرات ولا ينجسوها بإلقاء قشور الفواكه، أو وضع القمامات والزبالات والكناسات فيها.

أهمية النظافة في الإسلام:

أخي في الله – رحمك الله – إنك إذا درست توجيهات الإسلام السامية رأيت أن الإسلام الحنيف لقد اعتنى بأمر النظافة اعتناءً عظيماً حيث جعلها نصف الإيمان، وجعل الصلاة – هي التي من أعظم العبادات وأشهرها في الإسلام – لا تصح إلا بالطهارة، وكذا جعل العبادات والأعمال والقربات والطاعات كلها لا تصح ولا تقبل إلا بها.

وتتجلى أهمية الطهارة واضحاً جلياً في أن عامة علماء الإسلام والفقهاء والمؤلفين افتتحوا كتبهم غالباً بالطهارة تعظيماً لأمرها، وتضخيماً لشأنها، وإظهاراً لفضلها وشرفها.

ويحلو لي الآن أن ألقي أمامك بعض الأضواء على التعليمات الإسلامية الواردة في باب النظافة باختصار لتعرف بذلك جيداً أن الإسلام دين النظافة والطهارة، وإنه دين سماوي منزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم عرف بشر العالم الحائر بأصول النظافة ومبادئ الطهارة، وأرشد إلى أهميتها وضرورتها في حياة الفرد والجماعة، ودل على الحياة الحافلة بالوضاءة والنقاءة والنظافة والنزاهة.

ومن أهم التعليمات الواردة في الطهارة في الكتاب والسنة ما يلي:

فمن الكتاب:

أخي في الله – رحمك الله – إنك إذا قرأت كتاب الله تعالى رأيت أن أول آيات الوحي نزولا تنادي بالعلم، وثاني آيات الوحي تنادي بالنظافة والطهارة كما أشار إلى ذلك الرب تعالى بقوله: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنذِرْ ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} (سورة المدثر:١ – ٤)

وأرشد الله عباده المؤمنين إلى التطهر عند القيام إلى الصلاة فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ}[1] الآية.

---

[1] سورة المائدة:٦

وقال تعالى مثنيا على أهل قبا لأجل أنهم كانوا يتوضؤون للصلاة ويغتسلون من الجنابة، ويستنجون بالماء: {فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ}[١]

ويحب الله الذين يتطهرون فقال: {إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}[٢]

وأرشد تعالى كذلك إلى التطهر عند الجنابة فقال: {وإن كنتم جنبا فاطهروا}[٣] الآية.

وهكذا تجد أن الله تعالى أرشد عباده إلى التطهر والتنظف والتطيب في مواضع كثيرة من كتابه العظيم عدا ما ذكر أعلاه.

ومن السنة:

وأما إذا درست السيرة النبوية الشريفة – على صاحبها أفضل الصلوات وأزكى التحيات – رأيت أن النبي صلى الله عليه وسلم عاش نظيفا طاهراً، وكانت حياته حياة النظافة والطهارة والنقاءة، وتتجلى مظاهر النظافة والطهارة في أبهى صورتها في حياته الطيبة واضحاً جلياً. فكان لباسه الذي كان يلبسه نظيفاً، وكانت نعله التي كان يتنعلها حسنة، وكان إناؤه الذي يأكل ويشرب فيه نظيفا، وكان مطعمه الذي يأكله طيبا، وكان مشربه الذي يشربه طاهرا نقيا، وكان فراشه الذي ينام عليه نظيفا، وكان بيته الذي يسكنه نظيفا، وكان خوانه الذي يجلس عليه نظيفا، وكان يحب أن يستاك، ويواظب عليه، ويحض أصحابه وأنصاره على ذلك كثيراً، وكان يتعطر، ويكرم شعره، ويترجل، ويغتسل، يغسل رأسه وجسده، ويأمر بذلك أصحابه، ويلبس أحسن ثيابه يوم الجمعة، ويتزين ويتجمل به، ويحث الناس على ذلك، ويغتسل من الجنابة، ويستنجي بالماء بعد البول والبراز، وكان يستنزه من البول، وأخبر أن الذين لا يستنزهون من البول يعذبون في القبر، ولا يبول في المستحم، ويتقي التغوط في الطريق والظل والمورد، وينهى أصحابه وأتباعه عن ذلك، ويكره أن يبول في الماء

---

[١] سورة التوبة: ١٠٨

[٢] سورة البقرة: ٢٢٢

[٣] سورة المائدة: ٦

الدائم الذي لا يجري، وكان لا يستعمل الماء الذي تغير لونه وريحه وطعمه تطهراً وشرباً، ويقص الشارب، ويزيل الظفر، ويعتني بتنظيف البيوت ودورها وأفنيتها، كما كان يعتني بتنظيف الطرق والممرات ويأمر أصحابه بذلك. ويكره أن يعيش متوسخاً متبذلاً، فجعل النظافة والطهارة نصف الإيمان، وعدها من الإيمان والإسلام، وجعل الدين بدون النظافة ناقصاً غير كامل فقال: "الطهور شطر الإيمان."[١]

وجعل الصلاة لا تصح ولا تقبل بدون الطهارة فقال: "لا تقبل صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول."[٢]

وجعل إماطة الأذى – من الشوك والعظم والغصن والحجر والجيفة ونحو ذلك مما يؤذي المارة – عن الطريق من الإيمان فقال "الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق."[٣] الحديث.

وسن السواك، والختان، وقص الشارب، والاستحداد، ونتف الإبط، وإزالة الأظفار، وغسل البراجم، واستنشاق الماء، والاستنجاء تطهيراً من الأنجاس والأوساخ والأدران، وحفاظا على الصحة الإنسانية فقال: "عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء". قال زكريا: قال مصعب: "ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة."[٤]

وأكد على الاغتسال في كل سبعة أيام، والتعطر فقال: "الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم، وأن يستن، وأن يمس طيبا إن وجد."[٥]

وكذا شرع صلى الله عليه وسلم الاستنجاء من البول والبراز تطهيراً وتنظيفاً كما في الحديث عن سلمان رضي الله عنه قال: قيل له: قد علمكم نبيكم كل شيء

---

[١] رواه مسلم عن أبي مالك الأشعري.

[٢] رواه الترمذي عن ابن عمر، وصححه الألباني.

[٣] رواه مسلم عن أبي هريرة.

[٤] رواه مسلم عن عائشة.

[٥] رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري.

حتى الخراءة قال: أجل! لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو نستنجي برجيع أو عظم."[١]

وعن أنس بن مالك يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الخلاء فأحمل أنا وغلام نحوي أداوة من ماء وعنزة، فيستنجي بالماء[٢].

وكره أن يمس الرجل ذكره بيمينه وهو يبول، وألا يستعين باليمين في شيء من ذلك من الاستنجاء، فعن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا دخل أحدكم الخلاء فلا يمس ذكره بيمينه."[٣]

وكذلك نهى صلى الله عليه وسلم أن يتنفس الرجل في نفس الإناء مخافة من تقذيره ونتنه، وسقوط شيء من الفم والأنف فيه، وأن يمس ذكره بيمينه، وأن يستنجي بيمينه، كما في الحديث عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يتنفس في الإناء، وأن يمس ذكره بيمينه، وأن يستطيب بيمينه.[٤]

وأرشد صلى الله عليه وسلم إلى طريق التطهير من نجاسة الكلب إذا ولغ في الإناء فقال: "طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب."[٥]

انظر – أخي القارئ الكريم – كيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لنا أصلاً عظيماً من أصول النظافة والطهارة في الحديث المتقدم يتحير به الطب الحديث، ويعجز عن بيان مثل هذا النموذج النافع الرائع المذهل في باب التطهير والتنظيف – عليه أفضل الصلوات وأيمن البركات – .

وكره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يغمس الرجل يده في الإناء عند الاستيقاظ من النوم، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا

[١] رواه مسلم في صحيحه، باب النهي عن الاستنجاء باليمين.

[٢] رواه مسلم بالاستطابة.

[٣] رواه مسلم، باب النهي عن الاستنجاء باليمين.

[٤] رواه مسلم، باب النهي عن الاستنجاء باليمين.

[٥] رواه مسلم عن أبي هريرة.

استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسله ثلاثا، فإنه لا يدري أين باتت يده."[١]

وتجد الرسول صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يتغوط الرجل في الظل، وطريق الناس والمورد حفاظاً على الصحة الإنسانية، ووقايةً من الأمراض مثل الكوليرا، والهيضة ونحوهما من الأمراض الفتاكة.

كما في الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتقوا اللعانين: قالوا: وما اللعانان يا رسول الله: قال: الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم."[٢]

وترى أن الرسول صلى الله عليه وسلم شدد في النهي عن البول في الماء الدائم الذي لا يجري، وأكد على ذلك حفاظا على طهارة الماء ونقاءته، ونظافة المجتمع حتى لا يتقذر بذلك الماء ويتنجس، ويتلوث المناخ، فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يبولن أحدكم في الماء الدائم، ثم يغتسل منه."[٣]

ولذا فلا ينبغي للإنسان أن يبول بقرب الماء وإن لم يصل إليه لعموم نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن البراز في الموارد، ولما فيه من إيذاء المارين بالماء، ولما يخاف من وصوله إلى الماء، وكما لا ينبغي أن يبال بقرب النهر بحيث يجري إليه البول، كل هذا وذاك مخالف لأصول الصحة والنظافة يذمه النقل والعقل والعرف والشرع.

أقول: لا ترى دينا ولا ملة في العالم كله اعتنى بالحفاظ على طهارة الماء ونقاءته، وشدد في النهي عن تنجيسه بإلقاء النجاسات والجيف فيه، غير دين الإسلام الحنيف. الإسلام هو الدين الوحيد والمنهاج الفريد عني بالحفاظ على طهارة الماء وصفائه، لا تجد له مثيلا ولا نظيرا في مناهج الأرض جمعاء.

---

[١] رواه مسلم، كتاب الطهارة.

[٢] رواه مسلم، كتاب الطهارة.

[٣] رواه مسلم، باب النهى عن البول في الماء الراكد.

وكره صلى الله عليه وسلم أن يغتسل الجنب في الماء الدائم الذي لا يجري، بل أرشده إلى أن يتناوله تناولاً مخافة تنجس الماء، ففي الحديث عن أبي هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ''لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب، فقال كيف يفعل يا أبا هريرة قال: يتناوله تناولاً.''[١]

ودل الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه على صب الماء على بول الأعرابي الذي بال في ناحية المسجد تطهيرا لذلك المكان كما في الحديث عن أنس بن مالك يذكر أن أعرابيا قام إلى ناحية المسجد فبال فيها، فصاح به الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوه، فلما فرغ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذنوب فصب على بوله.[٢]

ودل كذلك على طريق التطهير من النجاسة التي تصيب بدن الإنسان كما في الحديث عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم، فأتي بصبي فبال عليه، فدعا بماء فأتبعه بوله ولم يغسله.[٣]

وهكذا دل على طريق التطهير من دم الحيضة يصيب ثوب إحدى النساء كما في الحديث عن أسماء قالت: جاءت إمرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إحدانا يصيب ثوبها من دم الحيضة كيف تصنع به؟ قال: تحته، ثم تقرصه بالماء، ثم تنضحه، ثم تصلي فيه.[٤]

ودل كذلك على طريق التطهير من النجاسة التي تصيب ثوب الرجل، فعن عمرو بن ميمون قال: سألت سليمان بن يسار عن المني يصيب ثوب الرجل أيغسله أم يغسل الثوب؟ فقال: أخبرتني عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغسل المني، ثم يخرج إلى الصلاة في ذلك الثوب وأنا أنظر إلى أثر الغسل فيه.[٥]

---

[١] رواه مسلم، باب النهى عن الاغتسال في الماء الراكد.

[٢] رواه مسلم، باب غسل البول وغيره الخ.

[٣] رواه مسلم، باب حكم بول الطفل الرضيع وكيفية غسله.

[٤] رواه مسلم، باب نجاسة الدم وكيفية غسله.

[٥] رواه مسلم، باب حكم المني.

ودل صلى الله عليه وسلم كذلك على غسل الوجه واليدين عند الاستيقاظ من النوم، فعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قام من الليل فقضى حاجته، ثم غسل وجهه ويديه ثم نام.[١]

وسن الاغتسال للجنب تطهيرا للأبدان، وتنشيطا للقلوب، وتطييباً للنفوس، فعن عبد الله بن أبي قيس قال: سألت عائشة عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث، قلت كيف كان يصنع في الجنابة أكان يغتسل قبل أن ينام أم ينام قبل أن يغتسل؟ قالت: كل ذلك قد كان يفعل ذلك، ربما اغتسل فنام، وربما توضأ فنام.. الحديث.[٢]

وكذلك شرع صلى الله عليه وسلم التطهر للحائض والنفساء والمستحاضة بأمرها بالغسل، واعتنى بتطهيرهن من النجاسات والقاذورات اعتناء عظيما ليحصل بذلك لهن النظافة الكاملة والطهارة التامة، والتوجيهات النبوية الكريمة في هذا الباب كثيرة معلومة مذكورة في كتب الحديث مبسوطة.

وسن صلى الله عليه وسلم السواك حفاظا على الصحة الإنسانية بصفة عامة، ووقاية من أمراض الفم والأسنان بصفة خاصة، وتنظيفا للفم وتطهيرا للأسنان.

والتوجيهات النبوية الكريمة في هذا الباب كثيرة معلومة، ومن أهمها ما يلي:

عن المقدام بن شريح عن أبيه قال: سألت عائشة قلت: بأي شيئ كان يبدأ النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل بيته قالت: بالسواك.[٣]

وعن حذيفة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام ليتهجد يشوص فاه بالسواك.[٤]

أخي في الله! لا ترى ملة ولا نحلة في ظهر الأرض اعتنى بالسواك، وقدم التوجيهات السامية الواضحة في أهميته وفضله وضرورته غير دين الإسلام، ولا تجد

[١] رواه مسلم، باب غسل الوجه واليدين إذا استيقظ من النوم.

[٢] رواه مسلم، باب جواز نوم الجنب واستحباب الوضوء له الخ.

[٣] رواه مسلم، باب السواك.

[٤] رواه مسلم، باب السواك.

كذلك دينا اهتم بحفظ الصحة والأبدان، وبين أصولا جامعة شاملة ومبادئ عادلة قيمة واضحة لحفظ الصحة والأبدان غير دين الإسلام، وأبدى الطب الحديث أن السواك له فضل كبير ودور حاسم في الحفاظ على الصحة الإنسانية، وفي الوقاية من أمراض الفم والأسنان المزمنة، ويصدق العلم الحديث كل ما أخبر عنه النبي الأمي صلى الله عليه وسلم من قول وفعل، وأمر ونهي تصديقا كاملا.

ويظهر صدق ما أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أربعة عشر قرنا من الأوامر والنواهي كلما بحث عنه الباحثون ودرسه الدارسون.

وشرع صلى الله عليه وسلم غسل اليد عند الأكل لما فيه من تنظيف اليد من الأدران والأوساخ العالقة به.

وتجد الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا عطس وضع يده، أو ثوبه على فيه، مخافة من تقذيره، أو سقوط شيء من الفم أو الأنف فيه. كما في الحديث عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه.[1]

وكره الرسول صلى الله عليه وسلم حضور الرجل المساجد، أو مجالس العلم والذكر والتلاوة حال انتشار الرائحة الكريهة من بدنه وثوبه. فعن عائشة قالت: كان الناس ينتابون الجمعة من منازلهم ومن العوالي، فيأتون في العباء ويصيبهم الغبار فتخرج منهم الريح، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنسان منهم وهو عندي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا."[2]

وشرع كذلك الغسل يوم الجمعة لكل من أراد من الرجال، فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يغسل رأسه وجسده.[3]

[1] رواه أبو داود، باب في العطاس، وقال الألباني: حسن صحيح.
[2] رواه مسلم، كتاب الجمعة.
[3] رواه مسلم، كتاب الجمعة.

وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح فكأنما قرب بدنة." الحديث.[١]

وحض الإسلام على التزين والتجمل عند دخول المسجد كما أشار إليه الرب تعالى بقوله {يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد} الآية.[٢] ونظرا إلى الحفاظ على الصحة والأبدان أمر القرآن باعتزال النساء في المحيض فقال: {ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى، فاعتزلوا النساء في المحيض، ولا تقربوهن حتى يطهرن}[٣]

لقد بين القرآن إعجازا علميا أمام البشر الحائر في باب الحفاظ على الصحة والأبدان لم يسبقه إلى بيان ذلك دين من الأديان الأخرى غير دين الإسلام، وأرشده بذلك إلى أصل عظيم من أصول الصحة والنظافة، لا يزال الإنسان يستلهم ويستضيئ منه مادامت السماوات والأرض.

وقد كشف العلم الحديث أن جماع الحائض ضار للصحة الإنسانية من منظور الطب، اتفق على ذلك الأطباء قاطبة، وذكروا أنه يتولد من أجله عديد من الأمراض الخطرة والأدواء المعضلة.

انظر – أيها القارئ الكريم – كيف أن الإسلام الحنيف أرشد بشر العالم الحائر إلى أصل عظيم من أصول الصحة والنظافة والطهارة، وإلى الرعاية الصحية بنهيه عن إتيان الحائض لا ترى دينا ولا منهجا قدم مثل هذا التعليم والتوجيه والإرشاد في باب الطهارة والصحة.

فقد تبين واضحا من النصوص المذكورة والتصريحات المتقدمة أن الإسلام دين النظافة والطهارة، عرف بها بشر العالم الحائر لأول مرة في التأريخ البشري.

❖❖❖

---

[١] رواه مسلم، كتاب الجمعة.

[٢] سورة الأعراف:٣١.

[٣] سورة البقرة: ٢٢٢.